

## غوستاف يانوش وماكس برود يختلقان كافكا الصهيوني

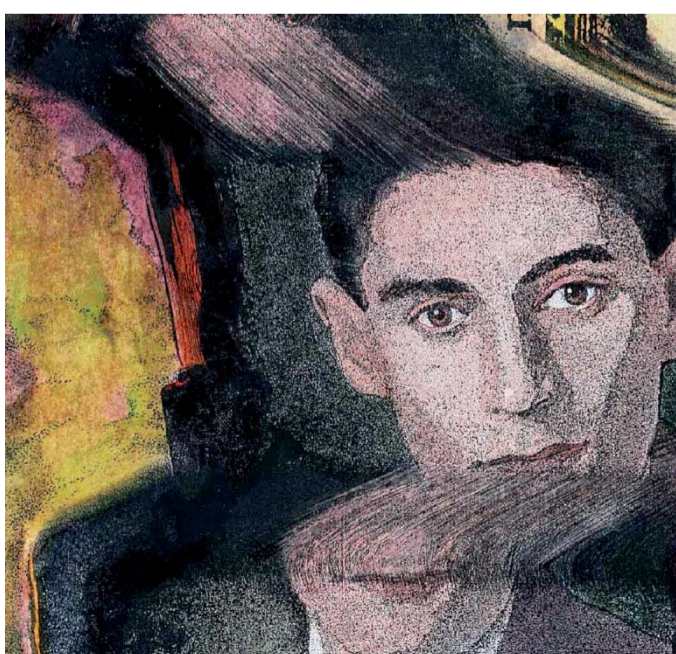
المشكلات، يجب على المرء أن يُشفق على كل الأتساءل، وأن يستسلم لكل الأتساءل، ولكن عليه في الوقت ذاته أن يظل صبوراً ومتسامحاً.“  
وهذا يتناقض مع قوله "أنا شخص لا مبال تماماً ومثيرٍ للشفقة؛ بئرٌ جفت، والماء فيها على عمقٍ يستحيل الوصول إليه، ما الذي هناك ليربطني بالماضي أو بالمستقبل؛ الحاضرُ شيخٌ يُعْبَرُ عني، فأنا لا أجلسُ إلى الطاولة بل أحوُمُ حولها. لا شيء، لا شيء، خواء، ملل، لا ليس مللاً بل مجرد خواء، لا معنى، ضعف“.

يقول صاحب سيرة كافكا رونالد غراي، إن الشيء الواضح في كافكا وفي أفكاره الدينية وكذلك في علاقته بابيه، هو ازدواجيته؛ فهو يبدأ إحدى يومياته بكلمات تقول "اللهم ارحمني فأني خاطئ في كل ركن من أركان حياتي" ثم ينتقل إلى استهجان هذا الدعاء على اعتبار أنه حب

للذات يدعو للسخرة، لكنه يعود ويدافع عنه. هذه ازدواجية المميّزة لشخصية كافكا تصلح ليدللاً إضافياً على زيف الصورة التي رسمها يانوش، المهم أن كافكا المخلوق كان مؤيداً للحاكم هيرش كالبنتشر ملهم هرتزل بخصوص إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وينسب له الكتاب قوله "لم يعد اليهود اليوم راضين بالتاريخ، إنهم يتطلعون إلى وطن متواضع اعتيادي في هذا الكون. إن عدداً من اليهود الشباب يعودون إلى فلسطين، إنها عودة المرء لذاته، لجنوره لانتماسه للوطن القومي في فلسطين، هو بالنسبة لليهود الهدف الضرورية“.

### الكتاب يرسم صورة لكافكا آخر يكاد يكون نقيضاً لكافكا الذي يعرفه قارئ رواياته ورسالته ويوميته

هذه الأفكار الصهيونية المنسوبة لكافكا تبين الهدف من ترويج ماكس برود للكتاب، كما كانت سبباً في اتهام بعض الكتاب العرب له بالصهيونية، لكن هناك من يخالفهم الرأي على اعتبار أن يانوش حوكم في حياته بتهمة الاختلاس وتم سجنه، وبالتالي لا يمكن الوثوق في صدق أقواله، كما أن اسم يانوش في يوميات كافكا التي ورد بها ذكر طباعه وخادمه، وحينما ذكره في رسالة إلى ميلينا وصفه بأنه صبي مزعج، كما أن كافكا كان يشعر بالانفصال عن اليهود والألمان والتشيك على المستوى النفسي، لهذا تساعا، ما هي القواسم المشتركة بيني وبين اليهود؛ إنه لا يكاد يوجد قواسم مشتركة بيني وبين ذاتي. كذلك الأدب الصهيوني أداة ذات هدف واضح معلوم، مما يجعل منه أدب عنصرياً بالأساس، بينما أدب كافكا أدب إنساني، كما قال هيرمان هيسه "ليست كتابات كافكا بحوثاً حول مشكلات دينية، وما وراثية، وأخلاقية، بل هي أعمال شعرية، ليس كافكا ما يقوله لنا بصفته لاهوتياً، أو فيلسوفاً، بل هو بصفته كاتباً وحسب“.



كافكا بصورة مغلوبة

أحمد رجب

القاهرة - "كافكا قال لي.. أحاديث وذكريات" عنوان الكتاب الذي أصدره الشاعر السلوفيني "غوستاف يانوش" ونقله إلى اللغة العربية نجاح الجبيلي، وصدر في نهاية 2019 في طبعة مشتركة عن داري نشر الرافدين العراقية وتكوين الكويتية.

كتب مقدمة الكتاب "ماكس برود" صديق كافكا الذي أوصاه بحرق مخطوطاته بعد وفاته لكنه لم ينفذ الوصية، فنشر المخطوطات بعد موت كاتبها، وكتب عنها مصوراً كافكا على أنه "عبقريّة دينية". وفي تقديمه لكتاب يانوش، يواصل برود رسم الصورة المثالية لكافكا فأرجع عدم شهرته في حياته لكونه غير مبال بمسألة الشهرة، والكتابة عنده كانت بمثابة الصلاة، وقال "كانت جميع جهوده مركزة على الإشباع الروحي وتحقيق حياة يلزم أن تكون نقية بشكل مباشر".

ويضيف "كانت حياته مستغرقة تماماً في المسعى لتحقيق الأسمى الذي يكمن في قوة الإنسان، لكي يستأصل من نفسه كل رذيلة"، وينقل عن كافكا قوله "لا يمكن للإنسان العيش دون إيمان ثابت في شيء راسخ معه".

فكان برود يؤكد مسبقاً على ما سيقوله يانوش نقلاً عن كافكا، ويحاول الإيحاء بصدقته في أكثر من موضع من المقدمة، سواء بتوثيق للعلاقة المدعاة بين طرفي الحديث (يانوش وكافكا) وحديثه عنها بثقة الشاهد عليها، أو بالاستشهاد بدورا ديمانت والقول إن الكتاب بدا لها وكأنه لقاء آخر بكافكا، كما يشير إلى ورود اسم يانوش في رسائل كافكا إلى ميلينا.

يقترح ماكس برود في المقدمة التي حررها في أكتوبر 1952، اتخاذ الأحاديث التي نشرت بعد ثلاثين عاماً من رحيل كافكا، بديلاً عن يوميات كافكا المفقودة عن تلك السنوات ولم يذكر شيئاً عن الذاكرة وما قد فعله من تحويل وتحريف للذكريات أو ما قد يصيبها من ترهل أو ضعف، وبالرغم من أن الكتاب مصاغ بأسلوب يانوش إلا أن برود لا يتحرج من الادعاء بأن كلمات كافكا كما نقلها يانوش تحمل علامة واضحة على أسلوب كافكا في الحديث، الذي يمتاز بكونه أكثر إيجازاً واكتنازاً من أسلوبه في الكتابة.

المهم أن الكتاب يرسم صورة لكافكا آخر يكاد يكون نقيضاً لكافكا الذي يعرفه قارئ رواياته ورسالته ويوميته التي اكتشفت ونشرت بعد صدور الكتاب بسنوات. فكافكا السوداوي المتشائم في قصصه، ولتذكر قوله "رواياتي وقصصاتي هي أنا"، وقد نشأ طفلاً ضعيفاً متردداً، كتب في يومياته "ما أريده الآن لا أريده في اللحظة التالية"، وكان كثير الشكوى، غير راض عن شيء كما تكشف رسائله، وهذا طبيعي بالنسبة للشخص الذي يعاني اضطهاد الأب وعقدة الذنب، هذا الشخص يبدو في كتاب يانوش متفائلاً، واثقاً من نفسه، عارفاً بكل شيء، ولديه القدرة على الإجابة عن أي سؤال، فينصح الصبي بما لم يفعله هو شخصياً، فلا ينصحه مثلاً بالتمرد على الأب الرافض لاشتغال ابنه بالموسيقى، وينصحه قائلًا "الصبر هو الحل لجميع

انتصاراً للثوابت العلمية والمرجعيات الفكرية والثقافية التي نهلت منها الذات، في وقوفها صلبة أمام الأفكار الرجعية. كما تحتوي السير الفكرية على بعد معرفي، لا فقط في ما يذكره المؤلف عن كتاباته ومناهجه، وإنما في ما يقدمه من ملامح جغرافية وثقافية للأماكن التي انتقلوا فيها، فصلاح فضل يتحدث عن إسبانيا وعن انهياره بحضارتها، ويصحح المعلومات ويقرب بان العرب لم يخرجوا من الأندلس، فمن خرجوا من شبه الجزيرة الأيبيرية نهاية القرن الخامس عشر، ليسوا عرباً وإنما كانوا أشناتاً من الموريسكيين، أما العرب فقد اضطروا تحت وطأة القهر ومحاكم التفتيش إلى الذوبان في الجسد الإسباني. وجابر صغفور في سيرته "بعيداً عن مصر" يُفتن بمدينة ماديسون ويصف معالمها.

تماثل الحاجة إلى كتابة السيرة الفكرية، الحاجة إلى كتابة السيرة الذاتية، لما فيها من نفع للدارس والباحث معاً، لكن على الكتاب أن يخففوا من نبرة الأنا، والافتخار بتخطي الصعاب، فهذه أشياء لا حاجة للتوابع بها، بقدر ما يستخلصها القارئ بنفسه، وأيضاً الابتعاد عن تلخيص كتبهم، وإنما الاكتفاء باستعراض دواعي الكتابة والمناهج المستخدمة، لأنها أفيد للقارئ.

## السيرة الفكرية كتابة شعرية تفضح الأسرار

بعد مرحلة انقطاع عاد الاهتمام بكتابة السيرة مجدداً



نصوص منسوجة في مربع الذات

الهدف من كتابة السيرة الفكرية، هو استعراض المسيرة العلمية الحافلة، بذكر ثمارها العلمية، المتعمقة في ولادة الأفكار. فيحدثنا صلاح فضل عن الأفكار الأولى لكتبه كيف جاءت، وكيف فرض عليه زخم التيارات الاشتغالية بالمناهج الحديثة، رغم معرفته بأنه سوف يصطدم بمعسكر التقليديين.

السمة البارزة للسيرة عنصريتهم وذهنيتهم الاستعمارية. حتى في استذكاره للوسط النسائي الذي نشأ بينه، لا يستحضره مجرداً من طقوسه الخصوصية وعاداته، كما يربط بين طفولته والأماكن المتعددة التي تنقل إليها، ويستمر حميش في استعراضه لكافة المؤثرات الثقافية، التي أسهمت في تشكيل وعيه الثقافي

والفكري، ويدين لكتابات عبدالله العروي في مرحلة التلمذة الجامعية. كما ينطرق إلى إسهاماته الثقافية الفاعلة في الثقافة كإتسها دوريتين هما الزمان المغربي والبدليل.

أما الدكتور صلاح فضل فيبتعد في سيرته الفكرية "عين النقد وعشق التميز" (2019)، دار بتانة عن الحديث عن الأمور الشخصية، بقدر ما يقترب من التكوين الفكري له، والعوامل التي أسهمت في بروز الصحت النقدي لديه. فيعرض لظروف وفاة والده، لا كنوع من الرثاء، وإنما لأثرها في تغيير مساره التعليمي، حيث نقله جده من التعليم الحكومي إلى التعليم الأزهرى كي يستكمل مهمة أبيه الذي رحل وهو في عامه الأخير في تخصص القضاء الشرعي.

ثم يسهب في شرح المؤثرات التي شكّلت ذاقلته النقدية، كمجلة الرّسالة التي عثر عليها في خزانة جده، ودور عمه الذي ساعده بطريقة غير مباشرة في الاطلاع على كتب القانون الدستوري والمدني والجنائي والإجراءات والاقتصاد الدولي والنظريات المطولة عن القانون الروماني، ثم تأتي الخطوة الأهم بدخوله كلية دار العلوم، وكانت بمثابة نقلة من الجبّة والعمامة، إلى رحاب الجامعة المخلتطة، وقد وصفها بهذه الفترة بأنها فتنة دار العلوم.

ولحظات وبؤر في وجوده، ومع عزمه عدم الخوض في كتابة الذات، خاصة أنه يرى أن عدداً ممن مارسوا الأوتوبيوغرافيا، أفرزتهم مجمل كتاباتهم سيراً ذاتية مباشرة أو مُقنعة، هي في معظمها سير النهج الأنا الصريف.

في حديثه عن مرحلة الطفولة، ينتقي من هذه المرحلة المؤثرات المهمة، كان يتذكر المعلمين الفرنسيين وعنصريتهم وذهنيتهم الاستعمارية. حتى في استذكاره للوسط النسائي الذي نشأ بينه، لا يستحضره مجرداً من طقوسه الخصوصية وعاداته، كما يربط بين طفولته والأماكن المتعددة التي تنقل إليها، ويستمر حميش في استعراضه لكافة المؤثرات الثقافية، التي أسهمت في تشكيل وعيه الثقافي

والفكري، ويدين لكتابات عبدالله العروي في مرحلة التلمذة الجامعية. كما ينطرق إلى إسهاماته الثقافية الفاعلة في الثقافة كإتسها دوريتين هما الزمان المغربي والبدليل.

أما الدكتور صلاح فضل فيبتعد في سيرته الفكرية "عين النقد وعشق التميز" (2019)، دار بتانة عن الحديث عن الأمور الشخصية، بقدر ما يقترب من التكوين الفكري له، والعوامل التي أسهمت في بروز الصحت النقدي لديه. فيعرض لظروف وفاة والده، لا كنوع من الرثاء، وإنما لأثرها في تغيير مساره التعليمي، حيث نقله جده من التعليم الحكومي إلى التعليم الأزهرى كي يستكمل مهمة أبيه الذي رحل وهو في عامه الأخير في تخصص القضاء الشرعي.

ثم يسهب في شرح المؤثرات التي شكّلت ذاقلته النقدية، كمجلة الرّسالة التي عثر عليها في خزانة جده، ودور عمه الذي ساعده بطريقة غير مباشرة في الاطلاع على كتب القانون الدستوري والمدني والجنائي والإجراءات والاقتصاد الدولي والنظريات المطولة عن القانون الروماني، ثم تأتي الخطوة الأهم بدخوله كلية دار العلوم، وكانت بمثابة نقلة من الجبّة والعمامة، إلى رحاب الجامعة المخلتطة، وقد وصفها بهذه الفترة بأنها فتنة دار العلوم.

و"أوراق العمر" للويس عوض، إلى هذا النوع، وهو أمر صعب، لا يمكن تقبّله بسهولة؛ فمجمّل هذه الأعمال تناولت المسيرة الحياتية بإسهاب شديد، وهو ما لا تلتزم به السيرة الفكرية، وحتى وإن تطرقت للتكوين الفكري في استعراضها للحياة الذاتية، فهذا لا يمنحها استقلاليتها عن السيرة الذاتية، وإدراجها إلى السيرة الذاتية.

الأثر المهم في ما يسرده الكتاب عن مكوناتهم الفكرية والثقافية، يتمثل في ما يمنحه السرد من بُعد تربوي لطلاب العلم، إلى جانب البعد المعرفي، بما يقدمه من إضاءات عن الأوضاع السياسية والاجتماعية، وعن التأثيرات الثقافية المتباينة وفقاً لمصادر العلم، وإن كان يسعى البعض لجعل من هذه السيرة بمثابة المراجعة الفكرية للأداء والقضايا التي طرحت سابقاً، على نحو ما فعل سمير أمين في سيرته بان جعل

غرضه منها بمثابة "إعادة كتابة وتطور أطروحاته في الرأسمالية والاشتراكية".

نفس الشيء فعله صلاح فضل عبر تساؤله "أكتب هذه الكلمات من الذاكرة، وأسال نفسي: ماذا عسلك أن تكون قد قدمت للفكر النقدي العربي، هل اقتضت في الكتب النظرية على تقديم تلخيص للتطورات العلمية ولمنجزاتها، وهل جئت بما يستحق البقاء في عشرات الكتب ومئات المقالات التطبيقية؟"

بعد مرحلة انقطاع لا نعلم أسبابها عاد الاهتمام بهذا النوع من جديد، فظهرت سير لكتاب ومُفكرين، توضع على أغلفتها الخارجية عبارة "سيرة ذاتية فكرية" على نحو ما فعل عبدالوهاب المسيري في كتابه "رحلتي الفكرية في البذور الجذور والتمر"، وصلاح فضل في سيرته "عين النقد" وإن كان ينسالم حميش في سيرته "الذات بين الوجود والإيجاد"، اكتفى بوضع سيرة ذاتية، وهو نفس ما فعله جابر صغفور في كتابه "من هناك" و"بعيداً عن مصر".

### سير ومكاشفات

في بداية سيرته "الذات بين الوجود والإيجاد" يعترف بنسالم حميش أنه كان عازباً عن السُبح في الحياة الجوانية، لأنه ليس في حالة صلح ووفاق مع

تفرّعت عن السيرة الذاتية الخالصة أنواع أدبية قريبة قد تنفصل عنها، فلا تشترك معها إلا في الاسم، كرواية السيرة الذاتية التي تعدّ النقيض التام للسيرة الذاتية الخالصة، وقد أغرت الكتابة عن الذات الكثير من الكتاب لتقديم أدب مكاشفات لاقي انتشاراً واسعاً بين القراء.

ممدوح فراج النابلي  
كاتب مصري

هناك فارق بين السيرة الذاتية الخالصة ورواية السيرة الذاتية، يتمثل في أن إحداها تنهض على الواقع المرجعي بشكل أساسي، في حين تلجأ رواية السيرة الذاتية إلى الخيال كتناف، يكون بمثابة نقض للميثاق السيري أو العهد، الذي يحيل إلى المطابقة بين الهويات الثلاث (المؤلف، الشخصية والراوي).

شدة الاقتراب بين السيرة الذاتية والسيرة الفكرية، تجعل من المفهومين يتداخلان إلى الحد الذي لا يمكن معه الفصل بينهما، لدرجة أن التعريف الذي حدّد به فليب لوجون السيرة الذاتية ينطبق تمام الانطباق على السيرة الذهنية، كما يقول محمد الداوي.

### مراجعة وتأمل

"السيرة الذهنية" بمفهوم محمد الداوي الذي قدّم كتاباً تناول فيه بالتأمل والممارسة كل ما يتعلق بهذا النوع الوليد؛ هي صنف من السيرة وامتداد مباشر لها، ويعرفها بأنها حكاية نظرية تترصد أطوار حيوات أفراد واقعيين معروفين بمناقبتهم ومآثرهم وجهوداتهم. وهي تهتم، في المقام الأول، بالجانب الإخباري أو التحليلي الصرفي، ويتسريح النادرة أو الاحدثة، ويتقصى مكونات أسرار النزوع الأدبي والفكري للمترجم له، بالاطلاع على الشواهد اللازمة كالمذكرات واليوميات والشهادات وغيرها وبالبرهنة على صحة بعض الطروح والحقائق الفكرية والفنية. من أنواع السيرة الذهنية ما يمكن أن يُطلق عليه السيرة الذاتية الموضوعية التي تتعلق بشخصية فكرية معروفة تستأثر بالاهتمام ويقطب من أقطاب التأليف والفكر الذي يحظى بمقومات وقيم تميزه عن غيره من الأعلام، ويعتبر قدوة حسنة للشباب المُتمسك بالمبادئ السامية والمتطلع إلى العُلا. وهذا النوع يهتم برصد مسار المسرود عنه التعليمي والثقافي والمهني، ويتوخى تتبّع أطوار حياته منذ نشأته وطفولته إلى أن استوفى حظه من هذه الدنيا ثم وافاه الأجل.

### الحاجة إلى كتابة السيرة الفكرية تماثل الحاجة إلى كتابة السيرة الذاتية، لما فيها من نفع للقارئ والباحث معاً

حفلت كتب التراث العربي بالكثير من نماذج السير الفكرية، على نحو ما كتبه بعض المحدثين والفقهاء لبيان معاناتهم في تحصيل العلم، ومن هذا "مناقب الإمام أحمد بن حنبل" لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، ومنها "المنقذ من الضلال" للغزالي و"التعريف بابن خلدون عن رحلته شرقاً وغرباً والفوائد الجمة" لعبدالرحمن التنعراتي، و"أنا العقاد"، و"تربية سلامة موسى"، و"سيرة ذاتية فكرية" لسمير أمين، و"في الطريق لريمي هيس، و"رحلة نحو البداية" لكون ولسون، و"الكلمات" لجون بول سارتر، وغيرها الكثير من الأعمال التي تندرج تحت هذا النوع.

وإن كان محمد الداوي خلط بين الأنواع التي تنتمي إلى هذا النوع وبين أخرى تندرج تحت نوع السيرة الذاتية، فأدرج "سبعون" ميخائيل نعيمة و"رحلة جبلية رحلة صعبة" لعدوى طوقان،